

تفريغ

الدرس الثاني

عقيد السلف وأهميتها

لفضيلة الشيخ/د. سعود بن عبدالعزيز الخلف

السلام عليكم

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه تسليماً كثيراً، وعلى آله وصحبه، ومن سار على طريقه وسلك نهجه إلى يوم القيامة. أما بعد: فهذه الحلقة الثانية من هذه الدروس التي جعلنا لها عنواناً: لماذا عقيدة السلف يجب على المسلم اتباعها دون غيرها من العقائد التي عليها للأسف العديد من المسلمين، وكنا بدأنا في الدرس الأول يوم السبت السادس من شهر ذو القعدة لهذا العام، واليوم الثالث عشر من شهر ذي القعدة لعام ألف وأربعمائة وواحد وأربعين، وكنا بينا أن الواجب على المسلم اتباع السلف؛ لأن الله تبارك وتعالى أمر باتباع طريقتهم وزكى الله طريقتهم فقال تبارك وتعالى: **{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}** [التوبة:100].

فالله تبارك وتعالى زكى طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وزكى ورضي عن كل من سلك منهجهم وطريقتهم، فإذا هذا طريق مرضي رضي الله تبارك وتعالى عن أهله وقبيل عملهم وقبيل منهجهم وزكاهم، وقال تبارك وتعالى: **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ**

بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا [النساء: 115].

وذكرنا الأدلة على هذا الأخرى من السنة ومن كلام السلف، وبيننا أن هذه التزكية من الله لمن سلك منهج السلف والتصحيح للطريقة التي عليها السلف هي في الحقيقة لمميزات تميز بها منهج السلف.

من أهم مميزات منهج السلف أنهم يلتزمون بالكتاب والسنة، وهذا أمر ليس تبرعا وليس ندبا، على المسلم أن يلتزم بالكتاب والسنة، بل إن ذلك من أوجب ما يجب عليه وهو تطبيق عملي لشهادة التوحيد حين يقول المسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإنه بهذه الشهادة يلتزم أن يكون الله ربه والنبي محمد نبيه والإسلام دينه، والإسلام هو ما جاء في كلام الله وكلام رسوله، فما كان في ذلك فهو الدين وما لم يكن في ذلك فليس من الدين؛ لأن الدين ما قال الله وقال رسوله وما عدا ذلك فهو وسواس الشياطين كما ورد عن بعض أهل العلم.

إذاً من أهم مميزات عقيدة السلف أنه يجب اتباعهم لأن الله زكى طريقهم وطريقتهم مميزة بأنها تنتمي إلى كلام الله وكلام رسوله، وأنهم لا يعارضون القرآن بعضه ببعض ولا يعارضون السنة بعضها ببعض، وهذا حينما نقول عدم معارضة القرآن والسنة فمعنى ذلك أن هناك من أهل البدع وبعض من هم في منهجهم يعارضون الكتاب والسنة، فإما يعارضون القرآن بالقرآن أو يعارضون القرآن بالسنة أو يعارضون القرآن بالأهواء وما يسمونه العقل أو بالوجد أو ما إلى ذلك من الكلام.

وقلنا أن هذا كله من الباطل ومن الهوى ومن مقابلة النص الشرعي الذي لا يجوز أن يقابل إلا — آمنا بالله وبما قال الله على مراد الله ورسوله، فليس لنا في هذا الأمر خيار، وقلنا أن الله تبارك وتعالى يقول: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** [آل عمران: 31]، ويقول: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا**

قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا [الأحزاب: 36].

فإذاً هذه الأمور هي من مميزات منهج السلف التي لأجلها الله زكى طريقتهم؛ لأن الله لا يمكن أن يزكي باطلا ولا يمكن أن يزكي منهجا منحرفا عن منهجه وعن كتابه وعن سنة نبيه، ولا يمكن أن يزكي أمورا مبتدعة مخالفة؛ لأن الله تعالى يكره البدع كلها ولا يقبلها، لهذا قال : **«وكل بدعة ضلالة»** والله لا شك يجب الاستقامة على دينه.

لذلك قال تعالى: **{فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ}** [الشورى: 15]، فإذاً منهج السلف يجب اتباعه لهذه المميزات.

ومن المميزات التي توقفنا عليها مميزات منهج السلف أنهم لا يقدمون الآراء أو الأهواء أو العقل أو الفلسفة على القرآن والسنة، حين ذكرنا أنهم لا يعارضون القرآن بالقرآن ولا يضربون آيات الله بعضها ببعض ولا يعارضون القرآن بالسنة ولا يعارضون السنة بالقرآن، بل يعلمون أن كل ذلك من مشكاة واحدة فيؤمنون بما يعرفون ويتوقفون فيما لا يعرفون.

لهذا النبي لما خرج على جماعة من الصحابة كانوا يختصمون في القدر، هذا يأخذ آية من هنا وهذا ينزع آية من هنا فخرج وقد غضب لما سمعهم وقال : كأنما فقى حب الرمان في وجهه من غضبه لما رأى، قال: **«ألهذا خلقتكم أم بهذا أمرتم؟»** يعني نحن لم نؤمر بأن نضرب كتاب الله بعضه ببعض ولا أن نضرب كتاب الله بسنة رسوله بل نؤمن به ونعلم أن كل ذلك من مشكاة واحدة لا يمكن أن يختلف ولا أن يتناقض.

أيضاً من منهجهم الأصيل هو أنهم لا يقدمون على كلام الله وكلام رسوله شيء من الآراء والأهواء أو العقل والفلسفة، هذا يقينا من منهجهم، ومدلول كما سبق أن بينت شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله، فكيف مسلم يقر بأن لا إله إلا الله ويشهد بأن محمداً رسول الله ثم يعارض كلام الله بشيء من الآراء أو بشيء من الأهواء

أو شيء من الفلسفة أو بشيء مما يسمونه العقل، لا يمكن لأن يتعارض ذلك، الله لم يعطنا مجالا أو لم يفتح لنا بابا إلى هذا ولم يسمح لنا ولم يأذن لنا بذلك، بل قال تبارك وتعالى قولاً حميداً واضحاً: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** [النساء: 65].

انظر قوة العبارة وقوة الآية وقوة دلالتها على أن الأمر ليس لك فيه أي خيار أيها المسلم كما قال الله: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}** [الأحزاب: 36]، فليس للمسلم خيار، بل يجب عليه أن يلتزم بالكتاب والسنة إن أراد أن يكون مسلماً حقاً فهذا هو الصراط كما قال الله: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}** [الأنعام: 153]، فالفضية هي أنه طريق واحد جاء من رب واحد بواسطة نبي واحد وهو طريق واحد يوصل إلى رضوان الله وجنته، وليست الطرق وليست السبل، فللسبل -نسأل الله العافية- دعاة آخرون كثر، كما قال النبي لما قرأ هذه الآية: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}** خط خطأ في الأرض ثم خط حوله خطوطاً يمينا وشمالاً وقال: **«وهذه السبل، فما منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه»**.

وكذلك حديث العرياض بن سارية وفيه: **«وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»** وفي حديث جابر: **«وشر الأمر محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»**، فإذا المسلم ليس مخير، أنت إذا أردت الجادة وإذا أردت النجاة وإذا أردت الفلاح وإذا أردت أن تكون مسلماً حقاً، ليس مسلماً يمشي الشرع ويقبله في هذه الناحية، وفي هذه الناحية لا يقبله، لا، الشرع كله واحد لا يتجزأ.

فما كان في تفاصيل أركان الصلاة وواجباتها وأنت لا تصلي إلا إلى القبلة ولا تصلي إلا وأنت على طهارة من الحدث الأكبر والحدث الأصغر وتبدأ صلاتك بالتكبير وتنتهي بها بالتسليم وليس لك خيار أن تبتدع شيئاً في ذلك ولا أن تصلي إلى بيت المقدس ولا أن

تصلي إلى قبر النبي ﷺ ولا إلى المسجد النبوي بالمدينة، إنما يجب أن تصلي إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة.

فإذا كان ليس لك خيار في هذا كذلك ليس لك خيار في جميع الأمور المتعلقة بالدين، في صفات الله وفي القدر وفي الأمور المتعلقة بالأسماء والأحكام وفي التوحيد وفي الربوبية، وفي اليوم الآخر وفي الجزاء في الآخرة، كل ذلك ليس لك أن تأتي بأمر من رأسك ثم تقول هذا هو الدين لا، الدين هو ما قال الله وقال رسوله ولا نعرضه على هوى ولا على رأي ولا على فلسفة ولا على ذوق ولا على وجد ولا نقدم عليه كلام أحد من الخلق، لا آبائنا ولا أمهاتنا ولا شيوخنا، لا نقدم أحدا البتة، إنما قول الله وقوله رسوله ثم من بعده إذا كان موافقا له فعلى الرأس والعين، وإذا كان مخالفا له فقوله مردود عليه كما قال كل الأئمة رحمهم الله، أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد كلهم يقولون: ما كان من قولنا موافقا لكلام الله وكلام رسوله فنعم، وما خالف فاضربوا به عرض الحائط، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله .

لهذا كان منهج السلف الاستقامة على هذا الأمر في الأحكام وفي العقائد، فلا يقدمون على كلام الله وكلام رسوله قول ولا هوى، لهذا روى الآجري عن عمر يقول: القرآن كلام الله فلا تصرفوه على آرائكم، يعني لا تجعل الآية زنتها وفهمها وتطبيقها بناء على رأيك، لا؛ لأن الله قال لنبيه: **{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}** [النحل:44].

والله قال: **{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}** [الإسراء:89] فالله تبارك وتعالى قد شح كلامه وبين مراداته جل وعلا، والذي لم يبينه الله كان واجبا على النبي بيانه، فلهذا ما مات رسول الله إلا والقرآن محفوظ معلوم لفظا ومعنى، والسنة تشرح ما يصعب على المسلم فهمه، أو يتعسر عليه معرفته فالنبي كان واجبه ذلك، إذا فاتك شيء من ذلك فتوقف ولا يضرك أن تقول الله أعلم.

جاءت المجادلة للنبي وقالت له: يا رسول الله إن زوجي قد ظاهر مني بعد أن نظرت له بطني وكبر سني ظاهر مني، النبي يقول لها: لا أعلم إلا أنك قد حرمت عليه، هذا علمه إلى أن نزلت الآية في الحكم المتعلق بالظهار كما في سورة المجادلة، فإذا نحن أمام كلام الله تعالى وكلام رسوله عُمي نُقاد بكلام الله وكلام رسوله، فلا نتقدم على كلام الله لا برأي ولا بفلسفة ولا بوجود ولا بذوق ولا قول شيخ.

لهذا يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: إنه لا رأي لأحد مع سنة سنّها رسول الله . أخي المسلم: عليك أن تضبط كلام الناس على هذا، ما وافق الحق خذ به وتحلى به، وتحمل به وتقرب إلى الله به ما دام وافق القرآن والسنة، وما خالف ذلك فارم به، فوالله لا يسألك الله عنه؛ لأن هذا كله من الباطل، فما خالف الكتاب والسنة فهو باطل.

لهذا لما جاء رجل لإبراهيم النخعي رحمه الله وقال له: يا أبا عمران: أي هذه الأهواء أعجب إليك، فيني أحب أن آخذ برأيك وأقتدي به؟ قال: ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير، وما هي إلا زينة الشيطان، وما الأمر إلا الأمر الأول، سبحان الله ما أجمله من كلام! لو عقل المسلمون، والله لو عقل المسلمون كلام الله وكلام رسوله وكلام أئمة السلف لاستقاموا على الجادة ولسلموا من الشرور العظيمة التي يتوزع إليها أهل الإسلام في هذا الزمان ومن زمن بعيد.

وصدق فيهم قول النبي : «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة» هذه الفرق كلها فرق الأهواء التي انحرفت بأهلها عن الكتاب والسنة، وسيأتي الإشارة إلى هذه الانحرافات، فيكون القرآن والسنة في ناحية وقول فلان وعلان في ناحية، وللأسف بعض المسلمين يأخذ بقول فلان وعلان ويترك كلام الله وكلام رسوله، والله قد حذرنا من ذلك، **﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾** * **وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** [البقرة: 166-167].

فليس لك أن تجعل لك سلفاً ومن تقتدي به ومن تلتزم بطاعته وتلتزم بقوله إلا الله تعالى ورسوله ، من عداهم فلا تلتفت إليه، فالله لم يسألك عن أحد وستجد في قبرك من يسألك عن ثلاثة أسئلة، من ربك، ما دينك، من نبيك، لن يسألك عن شيخك من هو شيخك، إذا لم يكن شيخك رسول الله فاعلم أنك لن تسأل عنه، وإذا كان شيخك هداك إلى الباطل فاعلم أنك نسأل الله العافية سيأتيك كما قال النبي أنه يأتي الإنسان في القبر أعماله بوجه قبيح ورائحة قبيحة ومنظر قبيح حتى يقول له المقبور: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر، قال: أنا عملك السيء، وطاعتك واتباعك لكلام الله وكلام رسوله لا يمكن أن يكون سيئاً، لكن إذا خالفت كلام الله كما قال الله: **{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ}** [الشورى: 21].

فإذاً الواجب على المسلم ألا يقدم على كلام الله وكلام رسوله رأياً ولا هوى، لهذا يقول الأوزاعي رحمه الله: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياكم وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول، لأنهم يزخرفون لك القول، الأشاعرة يقولون الأشعري نعم نحن لا نثبت لله تعالى العلو ولا الاستواء ولا النزول ولا، ولا، لماذا يا أشاعرة لا تثبتون هذه الصفات؟ قالوا: لأننا لو أثبتنا ذلك لله لأثبتنا له الحدوث والتجسيم، ويبدؤون يعرضون مسالكهم التي سلكوها وليست من الشرع في شيء.

فإن زخرفوا لك القول وقالوا لو قلنا إنه في العلو معنى ذلك حددنا له الجهة، ولو قلنا إنه استوى لأثبتنا له الحدوث، ولو قلنا النزول لأثبتنا له الحدوث، وهذا كله غير جائز على الله.

نحن نقول اثنتا بدليل من كلام الله وكلام رسوله على ما تقول وإلا فإن الله هو الذي قال عن نفسه: أأمتتم من في السماء، وهو الذي قال: استوى على العرش، ونبيه قال: إن ربنا ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا، فإذا مهما زخرفت من القول كما يقول الأوزاعي فإن هذه زخرفة، كما تقول شكل خارجي، والحقيقة أنها سم زعاف مهلك للمسلم مفسد لدينه يجعله كما قال الله: **{وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى**

نَارًا حَامِيَةً [الغاشية: 2-4]. لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان موافقا لشريعته وخالصا لله تبارك وتعالى.

إذاً هذه النصوص التي ذكرنا المميزات التي ذكرنا من منهج السلف هي التي لأجلها نقول: لا يجوز لأحد أن يخالف منهج السلف، ويجب على الجميع أن يدخلوا في هذا الباب، ويجب على الجميع أن يوصفوا بأنهم سلفيون، لماذا؟ لأن السلف هم الذين انضبطوا على الكتاب والسنة ولم يقدموا على الكتاب والسنة شيء، ولم يعارضوا الكتاب بعضه ببعض ولا بالسنة، بل أخذوا بكلام الله كله وأخذوا بكلام رسوله كله، فالله لم يفرق بينها بل يقال: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}** [النجم: 3-4] فهذا هي المميزات الموجبة على كل مسلم أن يسلك هذا الطريق وليس هو مخير.

نحن نقول هذا باب أنت أيها المسلم لست مخيراً فيه، لهذه الأمور التي ذكرناها وهي نصوصها شرعية واضحة الدلالة.

بقي أيضاً من مميزات منهج السلف أنهم يحذرون من البدع وأهلها ويتجنبون البدع وأهلها، لا يقبلون من مبتدع ولا يرقون مبتدعاً ولا يتهاونون في بدعة لأن البدع هي معارضة للدين وهي أصل ضلالة كل الأديان، النصارى الذي أضلهم عن دين الله؟ البدع التي اخترعوها في دين الله، كلها بدع اخترعوها في دين الله فقالوا بالتثليث وقالوا بالصلب والفداء وافترضوا على المسيح أنه ابن الله، وافترضوا على الروح القدس أنه أحد الثلاثة التي يتوزع إليها الإله عندهم فيما يسمونه التثليث، فضلوا وأضلوا.

لهذا قال الله تعالى: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}** [المائدة: 77]، فضلوا بالبدع وليس لهم مصيبة إلا البدع، لهذا الشرع كان واضح في مسألة البدع، وكان من صلب منهج السلف الحذر من البدع وأهلها، التسليم للكتاب والسنة يقابله الحذر من البدع وأهلها، السلامة من البدع والبعد عن أهلها.

والبدعة يقولون هي الشيء المخترع على غير مثال سابق، وتعريفها في الشرع من أجل التعريفات تعريف صاحب الاعتصام الشاطبي رحمه الله في كتابه الاعتصام قال عن البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى، يعني أن البدعة هي طريقة في الدين، مسلك ديني، ليس مسلك اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي أو أخلاقي في الأمور التي لم يأت الشرع بها فيها نصوص، أما الذي جاء في الشرع نصوصه فهو داخل في الدين، ولكن العادة أن البدع تأتي في المسالك التعبدية في الغالب، فهي طريقة في الدين مخترعة محدثة جديدة تضاهي الشرعية، يعني تشبه الشرعية وليست شرعية؛ لأن أهل الباطل دائما يحاول أن يقرب من الحق حتى يروج باطله؛ لأنه لو قال مثلا عن ما يسمى بالمولد الآن.

المولد يحاولون أن يجعلوه من ضمن تعظيم النبي ومحبته، ومعلوم أن محبة الرسول من أعلى مقامات الدين، وتعظيم النبي التعظيم الذي لا يبلغ درجة الربوبية والألوهية ويتناسب مع نبوته ورسالته هذا مطلوب شرعا، ولكن هم يلبسون على الناس بأن ذلك من تعظيم النبي، فهم يشبهون النواحي الشرعية لأن في النواحي الشرعية الصلاة عليه ومحبته وتعزيزه وتوقيره وما إلى ذلك من الأمور الشرعية، فهم يتشبهون بالنواحي الشرعية، ولكن إذا بحثت عن الدليل الشرعي الخاص لا تجده.

فيقول أنها تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها، يعني مراد أصحابها المبالغة في التعبد لله تبارك وتعالى، هم لا يريدون أو لا يظهر في توجههم أنهم يريدوا التفلت من الشرع، إنما في زعمهم أنهم يتعبدون لله تعالى إضافة، أو أنهم يبالغون في هذا الأمر لأنهم يرتقون في باب التعبد لله تعالى مثل الذين يرقصون فيما يسمى بالأذكار، أو مثل الذين يتدعون طرقا في الصلاة على النبي، أو الذين يغلون في الأولياء والصالحين ويغلون في النبي، يزعمون أنهم يبالغون في التعبد لله، لكن التعبد لله كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العبادة هي اسم جامع لكل ما شرعه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

إذا العبادَة يجب أن تكون منضبطة بالشرع مستدل عليها بدليل الشرع، محاطة بسياج الشرع، لا تتعدى ولا تقفز ولا تأتي من الخارج ولا تبقى خارج السياج الشرعي، لا، إذا كانت خارج السياج الشرعي فهي مردودة باطلة على أصحابها، ولا يخفى نحن والمسلمون عموماً يعلمون أن الله قد حذرنا من البدع وحذر منها رسول الله، لكن من الذي ينضبط؟ وهنا النقطة الأساسية، من الذي ينضبط على أن البدعة محرمة وسياج لا يجوز التجاوز إليه، والدين محاط بسياج الشرع، لا يجوز أن تقفز إلى أي بدعة؛ لأن أصحاب البدع قد نظروا لأنفسهم ما يجعلهم لا يلومون أنفسهم ولا يظنون أنهم مبتدعة، فزين لهم الشيطان أعمالهم كما قال الله تعالى: **{كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ}** [الأنعام: 108]، **{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا}** [فاطر: 8].

فهم لا يقولون بدع، بل يقولون في بعض الأحيان أنها بدعة نعم لكن بدعة حسنة، سبحان الله! ليس هذا مقام تفصيل هذا الأمر، ولكن يهنا هنا أن السلف كانوا منضبطين على هذه القاعدة وهي الحذر من البدع والتحذير من أهلها، والانضباط على قول الله تبارك وتعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}** [الأنعام: 159].

إذا كل بدعة ليست من الدين في شيء ولم تستفيد منها أيها المسلم، بل ستضرك يوم القيامة؛ لأن الله سيسألك من أين أتيت بهذا الشرع، ومن أمرك بذلك، والله أمرك بذلك أم تفترى على الله؟ والله قد حذرنا من هذه البدع، قال تعالى: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}** [آل عمران: 103] والاعتصام بحبل الله هو القرآن والسنة كما فسر ذلك أهل العلم أو القرآن أو الوحي أو الجماعة، كل ذلك لا يختلف، ولا تفرقوا، والتفرق يكون بالإعراض عن الكتاب والسنة وتجاوزه.

لهذا قال تعالى بعدها: **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ**

اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران: 105-107].

ورد عن ابن عباس أنه قال: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة، فإذا نحن أمام قاعدة خطيرة ومهمة جدا، والنصوص عليها واضحة، لكن كيف قفز الناس، قفز المسلمون، قفز كثير ممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله على هذه القاعدة؟ قفروها وتعدوها إلى ما يخالفها، وربما يعارضها معارضة ويناقضها مناقضة، فبعض الناس من خلال بدعته يعبد غير الله مما يناقض شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، وإذا قلت له يا فلان كيف تدعو غير الله وتسجد لغير الله وترجو غير الله وتخاف غير الله؟ قال لك: هؤلاء أولياء وصالحون، والله أمرنا بتعظيمهم ومحبتهم، وأن نتخذهم سبيلا ووسيلة إليه وما إلى ذلك من الكلام الذي في حقيقته يتناقض مع شهادة أن محمد رسول الله.

إذا هذا الأمر واضح الدلالة في كلام الله تعالى وهو الحذر من البدع وأهلها، وهو الذي كان عليه السلف، الله تعالى يقول: وأن هذا صراطي، صراطا واحدا ما عدده، ولا جمعه، هو صراط واحد، **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [الأنعام: 153].

ما هي السبل؟ لا شك أن السبل هي ما لم يأت في كلام الله وكلام رسوله، لأن الله يقول: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي}** الإشارة إلى شيء موجود وليس شيئا مفقود، والشيء الموجود هو ما قاله الله وقاله رسوله، **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا}** هذا الموجود، البدع كانت في وقتها مفقودة ولم تكن موجودة، فإذا هي من السبل التي ستأتي، وصدق ربنا تعالى وصدق رسوله، ملأت السبل الأرض وتفرق المسلمون على هذه السبل يمينا وشمالا.

قال: **{وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}** انظر دقة اللفظ القرآني، الوحي القرآني وكلام الله، فانظر كلام الله كيف هو غاية في الدقة، لأن السبل إذا اتبعتها انحرفت بك عن السبيل، لا يمكن أن تكون مستقيما على السبيل وأنت على السبل، فإذا كان

الإنسان خارجيا لا يمكن أن يكون سنيا، وإذا كان الإنسان معتزليا لا يمكن أن يكون سنيا، وإذا كان رافضي لا يمكن أن يكون سنيا، وإذا كان صوفيا لا يمكن أن يكون سنيا. لأن السبيل هو السنة، وأن هذا إشارة إلى موجود وهو كلام الله وكلام رسوله وشرع الله وشرع رسوله، انظر البيان والفصاحة والإبانة عن الحق كيف هي غاية في الوضوح، وإذا جئت مبتدع استروح إلى بدعته وأعجبته بدعته ودعا الناس إليها وهو ما يعلم أنه شيطان يدعو إلى سبيل شيطان، كما قال النبي لما خط خطا وقال هذا سبيل الله خط خطوطا عن يمينه وشماله وقال هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليها، ربما أنتم وأنا والناس كثير إذا تأملوا نعرف الشياطين الأحياء الذين يدعون إلى هذه السبل.

وكل من دعا إلى سبيل مخالف لسبيل الله فهو ورب الكعبة شيطان، لأن هذا وصف رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فإذا الحذر من البدع وأهلها هذا منهج سلفي، ولا يمكن أن تجد مبتدعا إلا وهو متوغل ومنغمس في بدعه لا يلتزم بمنهج السلف هذا، ومخالف لمنهج السلف هذا، وهذا ليس منهجا بالخيار، هذا كلام الله الذي قال: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}** [المائدة:3].

لما قال: **{وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}**، ما هو الذي رضي؟ بكل بساطة وبكل سهولة يقول كل مسلم رضي ما شرعه الله وشرعه رسوله، ورضي ما مات رسول الله عليه، وما كان بلغه قبل وفاته، هذا هو الذي رضي الله ورضيه رسوله، لهذا في آخر حياته في آخر أيامه.

بل اليوم الذي مات فيه رفع الستار فنظر أصحابه يصلون خلف أبي بكر فتهلل وجهه وابتسم، ويقول الراوي: رأينا وجه رسول الله كأنه ورقة مصحف بياضا وتألقا، تبسم لأنه رأى دينه قائما، رأى منهجه متبعا، رأى كتاب الله يتلى، رأى أصحابه ملتزمون بما علمهم فودعهم بتلك النظرة.

ثم يأتي أناس بعده يختارون ديناً من عند أنفسهم ويقولون دين الله، سبحان الله! يجب أن تبين لي أنه داخل في هذه الآية، **«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»** والله إذا لم تثبته داخلاً في معنى هذه الآية فهو مضروب به وجهك، ومردود عليك غير مقبول، كما قال في الحديث الصحيح وهو من قواعد الإسلام، **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**، **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**، ماذا يريد المسلمون أكثر من هذا البيان وهذا التوضيح وهذه الحجة القوية والواضحة والظاهرة والجامعة والمحيطة بكل ما يحتاج المسلم إليه؟ هذا بعضهم يقول هذا الحديث ثلث الإسلام، يجعلون الإسلام يدور رحاه على ثلاثة أحاديث، حديث عائشة: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**، وحديث عمر بن الخطاب: **«الأعمال بالنيات»** وحديث النعمان بن بشير: **«الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمها كثير من الناس»** فيقولون إن الإسلام يدور رحاه على هذه الثلاثة أحاديث، وهذا وارد عن الإمام أحمد رحمه الله.

فإذا نحن أمام قاعدة عظيمة جداً، ومفرقة بين أهل السنة وأهل البدعة، بينها الله ، لسنا نحن الذين بينها، ولا نحن الذين قعدناها، بينها الله وقعدناها وبينها رسوله وقعدناها، ألم يقل الرسول في هذا الحديث في صحيح البخاري: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**، ألم يقل الرسول في حديث جابر في مسلم: **«وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**؟

فهذه تقعيدات شرعية قعدناها الرسول ولسنا نحن الذين قعدناها، وقعدناها من جاء على نفس النهج وهم أصحابه والذين اتبعوهم بإحسان، فهذا ابن مسعود لما جاء إلى جماعة متحلقين في المسجد، انظر يركعك الله هذا الإمام الحبر العظيم الذي قال النبي: **«من أراد أن يقرأ القرآن غصاً طرياً فليقرأه على عبد الله بن مسعود»**، أو فليسمعه من عبد الله بن مسعود .

فجاء إلى جماعة في المسجد متحلقين وبين أيديهم حصى، ورجل يقول هلولوا مائة فيهللون، ويقول: سبحوا مائة فيسبحون، فقال لهم: والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة؟ الله أكبر! ما أجمل الانضباط على كلام الله وكلام رسوله، وما أسهله وأيسره على من يسره الله!

هذا الرجل الذي كان يقود هذه المجموعة وهذه المجموعة الذين يهللون أرادوا الخير، لهذا قالوا لعبد الله بن مسعود: ما أردنا إلا الخير يا أبا عبد الرحمن، فقال: وكم من مريد للخير لم يوفق له، أو كما قال، يعني أن إرادتك الخير ليست حجة، إنما إرادتك الخير وإرادة وجه الله مع الاستقامة على الشرع، لأن شرع الله كما قال: **{مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}** [الأنعام:38].

فلو كان هذا من الدين لوجدت رسول الله قال للمسلمين تحلقوا واجعلوا لكم إماما يدعوكم إلى التهليل والتسبيح والتحميد حتى تستفيدوا من أوقاتكم ويشجع بعضكم بعضا ويذكر بعضكم بعضا، لماذا لم يقل رسول الله؟ أنسي؟ حاشاه، غفل؟ حاشاه، أخفى هذا؟ حاشاه ولكن أهل البدع نسأل الله العافية يريدون لما يستحسنونه أن يضاف إلى الدين حتى يمشي استحسانهم.

وانظر كلام هذا الخبر عبد الله بن مسعود: والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، يعني أنكم جئتم بدين أحسن من دين محمد، لأن هذا ليس بدينه، وأنتم ترونه وتعملونه على أنه من الدين، أو أنتم مفتتحوا باب ضلالة، أنتم الآن على ضلالة -نسأل الله العافية- والواقع أنهم على ضلالة كما قال النبي: **«وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**.

وكذلك ورد عن ابن عباس الخبر الثاني، الخبر الذي دعا له النبي قال اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين قال: أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع، وإن من البدع الاعتكاف في المساجد التي في الدور، يعني الزوايا التي اخترعها الصوفية فيما بعد.

انظر كلامه رحمه الله، أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع لأن البدع تطغى على الأديان، البدع خطيرة جدا، لا يستهين أحد بالبدع، قلت لكم المسيح قال: **{اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}** [المائدة:72]، ولكن قومه تركوا هذا الأمر وابتدعوا من عندهم ديناً لم يأذن به الله.

لهذا يقول الله تبارك وتعالى للمسيح: **{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ}** [المائدة:116-117]. ولكن هم أمروا أنفسهم به، نسأل الله العافية وخالفوا شرع الله، فهذا أمر واضح في هذا المعتقد.

كذلك يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: كان يقول: أوصيك -يعني أوصي علي- يقول: أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته.

إذاً هذه المميزات في الحقيقة هي من المميزات التي يتميز بها السلف، يتميز بها منهج السلف، وكل أهل البدع يخالفونهم في ذلك، وكل أهل البدع ابتدعوا بدعاً ما أذن الله وشرعها ولم يشرعها الله ولا رسوله ، فلماذا نحن نقول: من أراد أن يكون في بحبوحة الإسلام وفي نور الإسلام وفي هدي نبيه محمد وفي إطار أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته عليه أن يترك كل البدع ويعرض عنها، وإذا جاء أحد يقول له هذا كذا وهذا كذا يقول له أين دليلك من الكتاب والسنة؟ ليس قول فلان ولا علان.

يا إخوان: البدع خطيرة جدا، جاءنا مبتدعة جاءوا بأمر كبار، أمر خطير جدا يعارض أصول شرائع الله ، ألم يدع بعض الصوفية وحدة الوجود؟ هذا الذي يسمونه محيي الدين والكبريت الأحمر والغوث ابن عربي، ألم يأتنا بوحدة الوجود؟ أكثر ملة على وجه الأرض باسم الإسلام؟ أليست هذه بدعة؟ ألم يأت بعض الصوفية بحلول الله في

المخلوقات أو في بعض المخلوقات؟ ألم يأت بعض الناس بدعاء غير الله والاستغاثة بهم واللجوء إليهم في الرخاء والشدة؟ ألم يأتوا بذلك؟ بلى أتوا بذلك، ألم يأت الراضية بدين غير دين محمد وشريعة غير شريعة محمد؟ أتوا به من البدع.

والله لم يسلم لك دينك إلا إذا انضبطت على منهج السلف وجعلت بينك وبين البدع بابا موصدا لا تلجه إلى يوم القيامة، ثم ترى الله حين يحكم بين عباده كيف أن الله تبارك وتعالى يعلي شأن نبيه وشأن دينه الذي شرعه ويرد على أهل الباطل باطلهم ويكبههم -أسأل الله العافية- على وجوههم في النار إلا من شاء الله ممن لم تكن بدعته تصل إلى الكفر -نسأل الله اللطف والمعافاة.

هذا ما أمكن ذكره في هذه العجالة، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل مني ومنكم وأن يشرح صدورنا جميعا إلى كلامه وكلام رسوله ، وأن يستعملنا في طاعته وأن يثبتنا على دينه وعلى سنة نبيه وعلى منهج أصحابه والذين اتبعوهم بإحسان، وألا نحيد عنه حتى نلقاه جل وعلا، وللحديث إن شاء الله بقية في الدرس القادم نكمل ما يرتبط بهذا الموضوع، وهو موضوع: لماذا يجب على المسلم أن يلتزم بعقيدة السلف ويعرض عن كل ما سواها.

هذا صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

تفريغ من سلسلة دروس

عقيدة السلف وأهميتها

لفضيلة الشيخ :

د. سعود بن عبدالعزيز خلف الخلف

حفظه الله تعالى